

العربية والتعريب

العالم العربي كله بوجه خاص ، وفي العالم الاسلامي برمته بوجه عام . اما الماضي فيؤكد ان لغة القرآن محت القبطية في مصر ، واليونانية في اسبانيا الاريقي ، والنبطية في العراق ، واللاتينية في الشام)) (٧) ، وان اهم الدول العربية انما تعربت بفضل القرآن (٨) ، واما حاضرا فيؤكد انه لولا تأثير الدين الاسلامي في الفارسية والتركية والاردوية مثلا لما ظلت العربية محتفظة بمكان الصدارة حتى في مواجهة اللغات المستعربة الدائرة في فلها (٩) . بيد ان الخطر الحقيقي في افراد الاتجاه القومي في كل نهضة لغوية عربية انما يتمثل في انتفاء الحاجة الى التعريب والاكثفاء بعملية الترجمة ، ما دامت غايتها الوحيدة تنحصر في نقل المصطلحات العلمية والفنية واثراء لغتنا بما ينقصنا من وسائل التعبير . ولا يكون مثلنا في حال كهذه الا كمثل الفرنسيين الذين يفرقون بين الترجمة والفرنسة ، او كمثل الطليان الذين يميزون بين الترجمة والطينية ، وهكذا ... الا ان هؤلاء الاقوام - تبعا لطبيعة لغتهم - قد تكفيهم الترجمة ولا يحتاجون مثلنا نحن العرب الى دقة التفرقة بين عملية الترجمة للمعاني والافكار والعلوم وعملية النقل الى اوزان لغتهم وصيغها ، لان النسيج اللغوي - كما سنوضح - مختلف كل الاختلاف بين طرائق التعبير هنا وهناك .

ومهما يكن من شيء ، فان العقلاء من القوميين العرب - مهما بالغوا في اعتبار القومية هدفا نهائيا - لن يرتكبوا هذا الخطأ ، ولن يحولوا الى الوعي القومي وحده كل سياسة التعريب ، وهم جميعا يفرون بان اكبر تراث للعرب هو الاسلام . وواضح من وراء هذا كله انه لا بد لنا - كي نبلغ بالتعريب وجهه الاكمل - من ان نأخذ بعين الاعتبار كلا من الوعي الاسلامي والنزعة القومية ، ولا سيما لدى تقصينا لطبيعة العربية في نقل العلوم واشتقاق المصطلحات لكل ما نحن بحاجة اليه . وذلك يعني ان علينا ان نربط بين ماضيها وحاضرها ، فنفرق اليوم كما فرقوا بالامس بين عمليتي الترجمة والتعريب ، وان نكثر من نقل العلوم بكل وسيلة نملكها كما فعل علماءنا القدامى عندما قامت حركة النقل لديهم على قدم وساق في كل الميادين ، ولا سيما في عصر المأمون الذي

نمهيئ

في شوال ١٢٨٨ هـ وزع المكنب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي استغناء حول مدى الارتباط بين انتشار الاسلام وازدهار لغة العرب . وانتهت جبهة الاجوبة الى ان الاسلام مهد لتعالمة اللغة العربية اداة علم وحضارة (١) ، فانتشرت هذه اللغة بفضل المد الحضاري الاسلامي (٢) ، واتسعت شبكتها باتساع نفوذ القرآن (٣) ، الى الحد الذي يسعنا معناه ان نقول : لولا الاسلام لكانت العربية مجرد لهجة (٤) ، فما حماها ولا صانها وخلصها الا القرآن (٥) .

ذلك اذا شأن العربية في ماضيها ، تحولت بفضل الاسلام لغة عالمية ، لغة علم وفن وفلسفة وحضارة مثلما كانت بنزول القرآن بها لغة شرع ودين . ولكن ، هل هذا شأنها الان في العصر الحديث ؟ ما من ريب في ان الوازع الديني قد ضعف وبضائل ، بسبب النزعات القومية التي باتت تسود اكثر مناطق العالم ، ومن بينها بصورة حتمية البلاد العربية التي كاد معظمها يرتبط بالقومية اوثق من ارتباطه بالدين : فالبيئات العربية الخالصة في سورية ولبنان - برغم تباعدها عن الوعي الاسلامي الصحيح - ما تنفك تعنى بالعربية الفصحى افضل العناية ، لانها في نظر انصارها جزء ضخم من التراث القومي الذي لا يجوز التفريط بشيء منه (٦) .

ولئن سلم هذا الرأي من بعض الوجوه فمن العسير ان يسلم من جميع الزوايا على وجه الاطلاق . والاحكم والاقراب الى المنطق عندنا هو نفي التعارض بين انتشار العربية فوميا ودينيا في آن واحد ، فلا مسوغ للتقليل من اهمية الوازع الديني ، مهما يكن قد طرا عليه من ضعف ووهن لمجرد التباهي بالتسرات القومي واعتباره العامل الوحيد في كل ما بدأت تصيغه العربية من ازدهار مع حركة النهضة منذ اوائل القرن التاسع عشر : ندل على ذلك الوقائع التاريخية والحقائق السياسية التي ما تزال تعيشها في

- (١) مجلة اللسان العربي ، العدد السادس ، شوال ١٢٨٨ هـ (انظر رأي الاستاذ روكس بن زائد العزيزي ص ١١٨) .
- (٢) اللسان العربي ٢٢٧ (رأي الاستاذ عبد العزيز حسين) .
- (٣) الاستاذ نديم الملاح ١٤٢ .
- (٤) الاستاذ محمد الحاج صدوق ٢٨٤ .
- (٥) الدكتور احمد شوكت الشطي ١٨٠ .
- (٦) انظر في هذا رأي الدكتور عبد العزيز مطر في اللسان العربي ص ٢٢٣ وكذلك رأي الدكتور عمر الدقاق في اللسان ايضا ص ١٩٠ .

(٧) هذا رأي الاستاذ محمد عبدالسلام هارون في اللسان العربي ص ٢١٩ .

(٨) انظر رأي الاستاذ مفتي محمد شفيق مدير دار العلوم بكراتشي - اللسان العربي ص ١٤٣ .

(٩) اوضح هذا الرأي الدكتور محمد يوسف من جامعة باكستان ، نفسه ١٤٥ واتى في هذا الصدد بادلة وحجج يصعب نقضها .

وتحبيه وظاهرة الصياغة القالبية فيما تسبكه وتبنيه » . (١٢)

رابعا : ان تجويز المعنى القديم ، او بسط الدلالة في البناء القديم سواء اتناول الصيغ الاسمية او الفعلية او الوصفية ، يدل دلالة قوية على مرانة العربية وسعتها ، كان صيغها القديمة التي بلغت عند ابن القطاع (١٤) الف مثال ومثني مثال وعشرة امثلة (١٢١) لم تكن برمتها كافية لادخال المصطلحات الجديدة في قوالبها ، ما دام بعض المطبوعين من المحدثين لا يرون ضيرا في اقتراح صيغ وابنية جديدة تختلف عن القديمة المحفوظة في تحريك وتسكين ، او في طول وقصر ، او في نحت والصاق ، مهما يكن الترفيع فيها كلها واضحا جليا .

خامسا : ان الاشتقاق عند اهل العلم بالعربية لا ينحصر في اخذ بعض الالفاظ من بعض ، او في توليد الفروع من الاصول ، كما هو شأن الاشتقاق في جمهرة اللغات الانسانية ، بل هو في العربية صور واشكال وانماط ، ربما كان اقل ما يعيننا منها في مثل هذا المقام هو الاشتقاق الاصغر او الاشتقاق العام او الاشتقاق العادي الذي يتكلم عليه الصرفيون ، وربما كان اكثر ما يعيننا منها واقوالها تصيرا عن خصائص لغتنا عند الترجمة او التعريب هو النحت والاصاق او ما يصر عنه ايضا بالاشتقاق الكبار ، فيمقابل كل من الاشتقاقيين اللغويين الاخرين : الكبير والاكبر .

سادسا : قبل ان نفيض في توضيح ضروب الاشتقاق المتنوعة ، من كبير واكبر وكبار ، في الحدود التي يسمح بها هذا المجال ، وقبل ان نبرز الفروق الدقيقة بينها ، ونميط اللثام عن الواجه التطبيقية العملية لكل منها على حدة ، لا مناص لنا من التنبيه الى وهم فاسد يوشك اكثرنا ان يقع فيه ، عندما تجمع بنا عاطفتنا القومية طورا والدينية طورا اخر ، الى المبادرة العجلى « اللوئية » و « اللامسؤولية » للاثار من التعريب ، جاهلين او متجاهلين ان هذا التعريب لا يجوز ان يكون مقصودا لذاته ، لانه وسيلة وليس بقاية ، ولانه ضرورة تقدر بقدرها وليس معيارا ثابتا يقاس عليه بصورة دائمة .

وتبيننا لذلك يطيب لنا ان نردد مع مونين Mounin ان اللغة ليست اكثر من اداة اتصال بالتجربة الانسانية واداة تحليل لها . وهذه التجربة نفسها عرضة للتغاير والاختلاف بين مجتمع وآخر ، وبين بنية واخرى (١٥) ، ونخلص مع هذا اللغوي الكبير نفسه الى ان ما نشده من كل لغة انسانية ، ومنها لغتنا العربية الفصحى ، هو تحديد رؤيتنا للحقائق والاشياء ، وللكون والحياة ، وللانفس والافات ، وفاقا لما صرح به مارتييه Martnet في قوله الموجز الواضح : « انما نتوخى من اللغة ان تمكن بوساطتها من تحديد رؤية كل منا للعالم الذي يحيط به » (١٦) وفي هذا المعنى نفسه يقول كاسيرر : « ان الانسان لا يدرك العالم ولا يفكر فيه بوساطة التعبير فحسب ، بل توشك رؤيته للعالم ان تكون محددة قبل بالتعبير » (١٧) .

سابعا : ما دامت اللغة وسيلة لتحديد الرؤية ، واداة للتعبير عن المعارف الانسانية ، تأملية كانت ام تجريبية ، فان لجوءنا الى التعريب (بانزال الالفاظ الاعجمية على احكام العربية مع الاحتفاظ بصياغتها) الصوتية الاصلية لا يجوز ان يكون مرتكزا تعبيرا لنا الا عند الضرورة . وسوف يكون منا هذا الموقف المتروي الرصين منسجما مع القرار الحكيم الذي اتخذه مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ونصه : « بجيز المجمع

بلفت فيه تلك الحركة اوجها ابتغاء الدقة في نقل مصطلحات الطب والطبيعة والفلك والكيمياء والفلسفة والرياضيات ، واهم الفاظ الحضارة والعلوم والفنون (١٠) .

ولقد استقصى الامير العلامة مصطفى الشهابي تلك المصطلحات التي نقلت الى العربية بطريق الترجمة تارة وبوسيلة التعريب تارة اخرى ، في كتابه القيم : « المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث » . وبرغم ما توالى على الحياة البشرية من مصطلحات انشأها التسارع « التكنولوجي » والحضاري منذ مطلع السبعينات في القرن العشرين ، ما تزال القواعد العامة التي اتبناها النقلة في وضع المصطلحات ، والتي لخصها الامير الشهابي ادق التلخيص ، هي الوسائل التي لا بد لنا من استخدامها في عمليات الترجمة والتعريب في عصرنا الحديث .

ونحن مع الامير الشهابي في ان تلك القواعد لا تخرج عن هذه الوسائل الاربع .

١) تجويز المعنى اللغوي القديم للكلمة العربية ، وتضمينها المعنى العلمي الجديد .

ب) اشتقاق كلمات جديدة من اصول عربية او معربة للدلالة على المعنى الجديد .

ج) ترجمة كلمات اعجمية بمعانيها .

د) تعريب كلمات اعجمية بمعانيها . (١١)

ومن خلال هذه القواعد نستخلص عدة حقائق لغوية ، تتصل بطبيعة العربية في كل عملية من عمليات النقل التي نريد ان نثريها بها .

اولا : ان الترجمة ليست في العربية اكثر من ايراد المعاني التي تتضمنها الكلمات الاعجمية المنقولة . وتكون الترجمة ، بهذا الاعتبار ، صفة لغوية مشتركة بين العربية وسائر اللغات الانسانية ، اذ لم تكن العربية بدعا من لغات الانسان ، فهي جميعا تتبادل التاثير والتاثير ، وهي جميعا تقرض غيرها وتقترض منه ، متى تجاوزت او اتصل بعضها ببعض على اي وجه ، وبأي سبب ، ولاية غاية . ومن يرم العربية مقصورة على الاعراب ، محبوسة عن الترجمة ، ويؤمن انها بصيغها وانواع اشتقاقها وحدها اعربت عن خصائصها الذاتية ، وانها ان ادخلت على نفسها بالترجمة مصطلحات الحضارة شوهدت محاسنها وفقدت خصائصها واتكرت نفسها بنفسها ، فليس يريد لهذه العربية الا الموت وليس يعيش بعريته الا في روح من العاج بناها له خيال سقيم (١٢)

ثانيا : ان التعريب - مع انه غير الترجمة - ربما يشبهها في بعض الحالات التي تنقل فيها الكلمات الاعجمية بمعانيها . الا ان العملية تختلف اختلافا بينا هنا وهناك : فانزال الالفاظ المنقولة على احكام العربية ، وسبكها في قالب من قوالبها ، واشتقاق صيغ جديدة او بسط الدلالة في بعض معاني الصيغ لتجويزها وتضمينها المدلول الجديد المقترح ، كلها عمليات لغوية ادخل في التعريب منها في الترجمة ، وهي من اجل ذلك امس رحما بهذه اللغة المرنة المطواع .

ثالثا : ان العمل الاشتقاقي الذي يسود حركة التعريب هو الذي اتاح للعربية في القديم وما يزال يتيح لها في الحديث ان تلد كل لحظة مولودا جديدا ، وان تلبي للاجاء ادق مطالب التعبير « لكننا - سواء الاحظنا قوالب المشتقات ام لم نلاحظها - لا يخفى علينا ان حركة الاشتقاق الدائمة تنشئ لمشتقاتها صيفا مقنودة على قدها ، مرسومة على حدها ، لا شيء اكثر شبيها بها من القوالب التي تصنع على مثالها السبائك الذهبية : ففي العربية اذا ظاهرتان متعاكستان ، وهما على تعاكسهما متداخلتان متكاملتان . ظاهرة الحركة الاشتقاقية فيما تلده

(١٢) كتابنا « دراسات في فقه اللغة » ٢٢٨ .

(١٤) الزهر للسيوطي ٢/٤ .

(١٥) Mounin . Les problèmes Théorique de la traduction . nrf 1963 . P . 58 - 59

Ibid . P . 50

(١٦)

Ibid . P . 44

(١٧)

(١٠) قارن بالمصطلحات العلمية للامير مصطفى الشهابي ٢٣ .

(١١) المصطلحات العلمية ٢٤ .

(١٢) انظر كتابنا « دراسات في فقه اللغة » ٣١٥

ان يستعمل بعض الالفاظ الاعجمية عند الضرورة على طريقة العرب في تعريبهم» (١٨) .

اما قبل تحقق هذه الضرورة فالترجمة الدقيقة تقوم مقام التعريب اذا تحرى اناقل العليم باسرار العربية اللفظ العربي الانسب لاداء مدلول اللفظ الاعجمي . فنحن نترجم مثلا Microscope بالجاهار . و Den simétre بالكثف ، و Floriculture بزراعة الازهار ، (١٩) ، وهكذا .

وفد علق الامير الشهابي على فيد « الضرورة » بقوله : « ارى ان قيد « الضرورة » الذي وضعه المجمع للتعريب هو ضرورة : اقول هذا لانني عارف بسخافات بعض اساتيد العلوم الحديثة ، الذين عربوا الالفاظ علمية اعجمية ، كان في استطاعتهم ان يجدوا لها الالفاظ العربية مقبولة بقليل من انجهد ، ومن المعرفة باصول تلك الالفاظ الاعجمية وبمعانيها » (٢٠) .

ثامنا : لا بد لنا ان نبدي اسفنا الشديد للذين يخلطون - وهم في اوج حماستهم القومية - خلطا مضحكا بين الترجمة والتعريب . انهم اولئك الذين يتوهمون ان مجرد الترجمة ، على اي صورة تتم ، هي تعريب محض ، يستحيل في نهاية المطاف تمليكها لتعريب ما لم تك من قبل تملكه ملكا ذاتيا اصيلا ، مع ان التعريب الذي كان عليهم ان يلتصوه في هذا التصمار هو تحويل اللفظ الاعجمي عربيا او بمزلاته . . . ولو ادركوا هذا منذ البداية لالتزموا - دون تردد - الكف عن استعمال اللفظ العرب ، اذا كان له اسم في لغة العرب ، اجزاء للفصح وفتلا للذخيل ، كما كان يفعل اسلافنا من ائمة اللغة ورجال العلم الخالدين . ولقد عقد السيوطي فصلا ممتعا في « الزهر » للمعرب الذي له اسم في لغة العرب ، نقل فيه امثلة من كتب اللغة المختلفة تشهد بان العرب عرفت مثلا في لسانها المد قبل ان تعرب بالانجنان (٢١) ، والحرض قبل الانسان (٢٢) ، والصرقان قبل ان تعرب الازدزد بالرصاص (٢٣) ان طائفة من تلك الاسماء عربتها العرب او تركتها كما هي (٢٤) ، ولكنها غالبا مما له اسم في لسان العرب رغم تعريبها اياه (٢٥) . وثمرة هذا كله اننا - لكي نحبي العربية الفصحى - لا بد لنا من قتل الاعجميات الغيمات .

والشواهد التي نذكرها في هذا المقام كافية بحد ذاتها لعمادنا على الكف عن استعمال اللفظ العرب ما دمنا نجد مقابله في لسان العرب : ان السكرجة تسمى عند العرب « التفتوة » ، والباسمين يسمى « السمسق » ، والترجس يسمى « المهر » ! (٢٦) فاذا اردنا اليوم تطبيق هذا المقياس السليم على الالفاظ اعجمية ننقل مدلولاتها الى العربية ، في اي باب من ابواب المعرفة الانسانية ، لم يكن لنا ان نذر من مجرد العودة الى رصيدنا اللغوي الضخم الذي قد نجد فيه مدلولوا مكافئا او مساويا او شديد الشبه - وان لم يكن تام الشبه من كل وجه - في لفظ عربي صميم من الالفاظ التي امبتت بسبب الهجر

(١٨) المصطلحات العلمية ٦٧ .

(١٩) نفسه ٦٦ .

(٢٠) نفسه ٦٣ .

(٢١) عن امالي ثعلب . فارن بالزهر ٢٨٤/١ .

(٢٢) عن صحاح الجوهري ، وقارن بالزهر ٢٨٣/١ .

(٢٣) الرواية هنا عن ابن درستويه في « شرح الفصح » . انظر

الزهر ٢٨٤/١ .

(٢٤) انظر فقه اللغة (للشهابي) فصل في سياقة اسماء تفردت

بها الفرس دون العرب فاضطرت العرب الى تعريبها او تركها كما هي

(ص ٢٥٣ - ٢٥٥) .

(٢٥) الزهر ٢٨٣/١ .

(٢٦) الزهر ٢٨٤/١ .

والاهمال . وكأي في الالفاظ من مستعمل قد هجر ، مع ان في وسعنا احياءه من جديد .

تاسعا : علينا ان نعترف - سواء احببنا ام كرهنا - بان انتشار اللغة (أي لغة كانت) - رهن بمدى اسهامها في الواقع الحضاري ، ومشاركتها في تملك معنى اللفظ قبل اقتراح صياغته ، مهما تكن تلك الصياغة ، وذلك يعني ان كل تخلف توصم به لفتنا مثلا ينحصر في الباحثين العرب لا في اللغة العربية .

اني اوافق من قال : « لا تصير العربية علمية من طريق التعريب » ، لان عملية التعريب ليست لعبة لفظية ، ولا زخرفة جمالية ، ولا انفعاات عاطفية ، ولا همسات شعرية ، ولا انعاما موسيقية ، ولا شعوذات سحرية ، ولا شطحات صوفية ، انها على العكس من ذلك عملية علمية ، منهجية ، واقعية ، (٢٧) بل هي انسانية شاملة ابتهت ما فيها الالوان المحلية والاقليمية وحتى القومية ، وبرز ما فيها واصله واخلاه وابقاه الالوان الحضارية العالمية التي تؤمن بان العلم لا ارض له ، ولاوطن له ، وان الانسان اخو الانسان في كل زمان ومكان .

عاشرا : من اجل ذلك اراني شخصيا اوافق على التعريب المدرس لا المرتجل الجزئي لا الكلي ، الذي يفسح في جميع مراحل التعليم مكانا رحيبا للغة اجنبية تثقيفية على الاقل بجانب لغتنا العربية الفصحى ، لغة القرآن ، لان وطننا في العالم لن يستطيع بعد اليوم ان يعجز نفسه في قوفته ، والناس عن يمينه ويساره لا يقنعون بخيرات الارض بل ينشئون الحضارات في الفضاء اللامتناهي الفسح !

لكني لا اوافق ابدا على الشعور بالانهزامية ، وعلى وصم العربية بالتخلف والرجعية ، ولا سيما بعد ان بدأت في السنين الاخيرة تتكامل في اجهزتها العلمية والتعليمية وسائل القدامى ووسائل المحدثين لشؤون النقل والتعريب ، حتى ليوشك ان نتوهم ان قدامى لغوبينا ما يزالون احياء بين ظهرانينا في القرن العشرين ، او ان علمائنا المعاصرين ما يبرحون يولدون الالفاظ ويضعون المصطلحات مع ائمة اللغة الاولين القابرين .

حادي عشر : ان التسابق الى حركة التعريب ، بدون خطة متكاملة مدروسة ، ولا سيما اذا اقتصر على التعريب الحرفي للمصطلحات المطلوب نقلها ، يوسع شقة الخلاف القائم في المصطلحات بحيث يكون في العالم العربي من اللغات العربيات عدد مماثل للغات الاجنبية المنتشرة فيه (٢٨) . والافضل اذا ان نقصر التعريب على الالفاظ الدوابة للمصطلحات العلمية المستعملة بالفاظها اللاتينية في جميع لغات العالم . اما بقية المصطلحات فلن تعجز العربية عن توليد اللفظ الملائم لها عن طريق الاشتقاق .

وفي هذا الصدد يلاحظ ان بعض علمائنا المعاصرين لا يجدون بأسا في قبول طائفة من المصطلحات العلمية بالفاظها اللاتينية اسوة بجميع اللغات العلمية ، ومن بينها الروسية برغم تقدمها العلمي والتكنولوجي : فلا داعي لانفراد العرب بنقل تلك المصطلحات - ولو نقلا غير دقيق - من اللاتينية الى العربية ، دون طائل ولا جدوى . والى هذه النقطة بالذات نبه المستشرق الفرنسي شارل بيللا Charles Pellat عندما كتب

(٢٧) من محاضرة لنا في النادي الثقافي ببجبل ، اغسطس

١٩٧٠ . وقد اشرنا الى نظير هذا في محاضرتنا بطرابلس ليبيا (يوليو

١٩٧٣) عن ضرورة الحفاظ على اللغة العربية في الوطن الاسلامي ، في

مؤتمر الشباب العالمي الاسلامي ، الذي دعيت اليه جمعية الدعوة

الاسلامية .

(٢٨) وحينئذ تكون مصطلحات مصر والعراق والاردن مثلا انكليزية

اللفظ ، ومصطلحات سورية ولبنان وبلدان الشمال الافريقي العربي

فرنسية اللفظ ، فتكثر بهذا السبب اللغات الاقليمية وتسمع بينها مع

الايام شقة الخلاف .

يقول : « يعلم الجميع ان علماء النبات والحيوان يستعملون في العالم اجمع اسما ونعتا لاتيين لكل جنس ونوع من النبات والحيوان ، فهذه الاسماء والنموت مجمع عليها كما قلت في العالم كله ، والروس انفسهم الذين يكتبون بخط خاص يذكرون لكل حيوان ونبات اسمه ونعته باللاتينية » (٢٩) .

ثاني عشر : وقد تضرعنا هنا مشكلة اختلاف المصطلحات التي تم تعريبها في بعض البلدان العربية ، او التي اقترحها مكتب التنسيق لشؤون التعريب التابع لجامعة الدول العربية ، والذي مركزه الرباط ، وذلك في بعض المعجمات التي انجزها في السنين الاخيرة بنشاط ملحوظ مشكور . لكن لهذه المشكلة حلا عمليا يمكن تبنيه عن طريق الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية ، وعن طريق الجامعات العلمية واللغوية القائمة اليوم في القاهرة ودمشق وبغداد . فليس عسيرا ان نضع حدا لاختلاف الاصطلاح العلمي اذا سعينا لايجاد مجمع عربي لغوي وعلمي موحد ، وعقدنا مؤتمرات علمية بالتعاون مع المكتب الدائم لتنسيق التعريب ، ابتداء الوصول الى الوحدة الثقافية العربية ، ووضع مقاييس عامة لاثار مصطلح على اخر حتى تكفي له السيرة . ومن المعروف انه اقيم في الجزائر سنة ١٩٦٤ مؤتمر لهذه الغاية شاركت فيه جميع الدول العربية . واذا لم يكتب للمحاولة النجاح الكامل في ذلك الحين ، فلا مانع من اعادة الكرة في محاولة جديدة . (٣٠)

ثالث عشر : قد يكون من المفيد هنا ان نوه بافتقارنا الى مراجع علمية عربية لتدريس جميع العلوم على المستوى الجامعي . ومما يعين على حل هذه المشكلة العويصة اسهام الدول العربية عن طريق جامعتها بتمويل مشروع على جانب عظيم من الاهمية . الا وهو اصدار معجمين عربيين ، احدهما لغوي والاخر علمي تصدهما الهيئات العلمية واللغوية في الوطن العربي . وان واقع التدريس الجامعي في كثير من البلدان العربية ليؤكد اليوم اننا قطعنا اشواطا في هذا الصدد ، « فالدراسات القانونية والاجتماعية بوجه عام انما تدرس باللغة العربية ، وكذلك الدراسات العلمية من طبعة وهندسة ورياضة ، بل يدرس في جامعات جمهورية مصر العربية نظريات الذرة والايكترونات باللغة العربية ، ولم يبق الا بعض الدراسات العلمية التي لم تستكمل وسائلها في المكتبة العربية » . (٣١)

وعندما يتم وضع المعجمين اللذين اشرنا اليهما آنفا فسوف تؤيد كل التأييد استعمال الكلمات المودنة فيهما ، على حالها التي وردت عليها ، ولو كان لدى المؤلفين افضل منها ، « على ان يبين المؤلف في اخر كتابه او في هوامشه نقده والكلمة الافضل لديه لتنظر فيها لجنة المعجم فتقرها اذا اقتنعت بها في الطبعة الجديدة ، ويقضي ذلك بان يطبع المعجم لا اقل من مرة كل ثلاث سنوات » (٣٢) .

(٢٩) انظر في اللسان العربي ص ٥٤ بحث هذا المستشرق بعنوان (اللغة العربية والعالم الحديث) .

(٣٠) انظر كتابنا « دراسات في فقه اللغة » ص ٢٥٣ (الطبعة الخامسة) .

(٣١) هذا ما افتى به مجمع اللغة العربية في القاهرة تحت عنوان « حتى علوم الذرة والايكترونات تدرس باللغة العربية » ، لما استفتناه المكتب الدائم لتنسيق التعريب - انظر اللسان العربي ص ٩٨ . وذلك ايضا ما اقترحه المجلس الاعلى للجامعات في القاهرة تحت عنوان (ضرورة التعميل بتعريب التعليم) ، انظر اللسان العربي ايضا ص ١٠٥ .

(٣٢) هذا هو اقتراح الدكتور احمد شوكت الشطي الاستاذ في كلية الطب بجامعة دمشق وذلك في مقاله في اللسان العربي ص ١٣٦ تحت عنوان : « لغة العربية طاقات خلاقة ، ولكن تقصنا وسائل التنسيق » .

رابع عشر : وابتداء الدقة في نقل المصطلحات ، ولا سيما من طريق التعريب اذا اقتضينا بضرورة اللجوء اليه عندما لا نجد مندوحة عنه بالترجمة الصحيحة ، جدير بنا الا ننسى ما كررناه في بحثنا في اكثر من موطن ، لاهميته الكبرى ، من وجوب انزال المعرب على اوزان العربية ، لنبلغ في ذلك ما بلغه اسلافنا من ائمة اللغة من القدرة على التعرف في الكلمة المعربة واعمال مباضع الاشتقاق في بنيتها ، فنحن نعلم انهم قالوا في زنديق . زندقة وزندق ، وفي سرق : بيت سرق ، (٣٣) مثلما قالوا في الديوان : دون تدوينا ، وفي النوروز : نوذ ينووذ .

ومن تنزيل الكلمة الاعجمية على احكام العربية ان نختار لتعريبها وزنا يشبه بعض الاوزان العربية ، فكلمة (Physique) يمكن ان تترجم بعلم الطبيعة ، ولكن الترجمة ليست دقيقة ، وخير منها تعريب اللفظة نفسها منهيبة بالالف الممدودة كيلا يضيع اصل التسمية ، فنقول « الفيزياء » ، على نحو ما قال الاستاذ العلامة عز الدين التنوخي في كتابه « مبادئ الفيزياء » فقد نبه الى انه « لم يراع في الاصطلاح الا الانضال مما آتشدت اليه ميسس الحاجة ، ولو كانت الكلمة اعجمية الاصل : فانها اذا ما تعربت بنزولها على احكام العربية خفت على اللسان وعذبت بصقله اياها في البيان : يدل على ذلك مثلا اسم الكتاب (مبادئ الفيزياء) » (٣٤) .

والعلم باسرار هذه اللغة لا يختلط عليه الاعجمي والعربي ، ولا يلتبس عنده الاصيل والدخيل ، فان للكلمة العربية نسيجهما المحكم وجريتها المتناسق ، وايقاعها المعبر . ولم يضمن علينا ائمة العربية بمقاييس تعرف بها عجمة الاسم ، لكي تتناولوه بالتفسير ان شئنا صياغته على اوزان العربية ، او نعرف حقيقته على الاقل ان آثرنا تركه على لفظه دون تبديل فيه (٣٥) .

واكثر هذه المقاييس يقوم على النقل والسماع ، فبنية الكلمة وحدها تسمها بالعربية او بالاعجمية ، وحسبك ان تردد في سمعك لفظ « ابريسم » لتري ان وزنه مفقود في العربية . ولن تجد كلمة عربية اولها نون ثم راء مثل « نرجس » ولا اخرها زاي بعد دال مثل « مهنز » ، او كلمة يجتمع فيها الصاد والجيم نحو « الجص » ، او يجتمع فيها الجيم والقاف نحو « المنجنيق » (٣٦) . ولن تجد كلمة رباعية او خماسية عاربة عن حرف او اكثر من حروف الذلاقة (٣٧) . فانها متى كانت عربية فلا بد ان يكون فيها حرف ذلقي ، نحو سفرجل ، وقد هل (٣٨) .

خامس عشر : واذا كنا في بحثنا هذا لا نسيغ لانفسنا ان تعرض لبعض المسائل الاشتقاقية المتعاقبة بالتقلب والابدال في كل من الاشتقاق الكبير والاشتقاق الاكبر ، مخافة التحول في ندوتنا هذه عن العربية وطبيعتها في عملية التعريب الى ما يشبه الدراسة « الاكاديمية » او الجامعية التي ليس موضعها في مجال كهذا ، فلا مفر لنا بشكل خاص من الاشارة الى لون من الاشتقاق فريد : هو النحت والالصاق او الاشتقاق الكبار ، لان كثيرين توهوا قلته في العربية ، حتى وسع بعضهم انكار الافادة منه على وجه الاطلاق . وقد حملنا

(٣٣) الاشتقاق والتعريب (للمغربي) ص ٤٨ .

(٣٤) انظر الجزء الاول ، صفحة (ج) ، وقارن بالمباحث اللغوية في الرواق للدكتور مصطفى جواد ص ٨٦ .

(٣٥) قارن بكتابنا « دراسات في فقه اللغة » ص ٢٢٣ .

(٣٦) الزهر ١/ ٢٧٠ .

(٣٧) احرف الذلاقة ستة (برافيل من) .

(٣٨) المعرب للجواليقي ، وقارن بالجمهرة لابن دريد ص ١١ .

(المقنعة) .

وحين يسوغ النوق ترجمة صدر او كاسعة (Préfixe ou Suffixe) لتكوينها مع كلمة عربية نحتا واختزالا ، لا ريب انه سيكون اقرب الى تسويغ النحت في كلمتين عربيتين خالصتين يتألف منهما اصطلاح علمي مختصر ، فلا ضير في استعمال (الزمكان) (٤٤) نحتا من الزمان والمكان ، و « الحينب والحينبات » (٤٥) نحتا من الحيوان والنبات Zoophyle « والحيزمن » نحتا من الحيز والزمن Espace - temps (٤٦) ومقياسنا في هذا كله الذوق السليم الذي نرجو ان يصدق فيه قولنا : لا يجتمع ذوق المطبوعين على مستكره في السمع مستثقل على اللسان !

وفي ضوء هذه الملاحظات المميزة بوضوح بين الترجمة والتعريب ، والمدققة في شروط التعريب بوجه خاص . والساعية الى توحيد المصطلحات لا يوضع من الفاظ العلوم والفنون ، يسعنا ان نكون على يقين من ان نقلة العلوم الحديثة في هذا العصر باتوا يعبرون اليوم عن خصائصها اصدق تصوير ، فما هي باللغة الجامعة المينة ، بل هي اللغة المرنة المطواع التي كتب الله لها النماء والبقاء والخلود .

صبحي الصالح

(٤٣) انظر في ترجمة هذه الصدور والكواسع على طريقة النحت مقالا ممتعا لساطع الحصري في مجلة التربية والتعليم سنة ١٩٢٨ (المجلد ٦ ص ٣٦١ - ٣٧٥) .

(٤٤) انظر على سبيل المثال (نظرية النسبية) للدكتور محمد عبدالرحمن مرجبا ،

(٤٥) هذه من نحت الاستاذ عز الدين التوخي .

(٤٦) الباحث اللغوية في العراق ص ٩٨ .

صدر حديثا عن دار الطليعة

الادب والثورة

تأليف ليون تروتسكي ترجمة جورج طرابيشي

اذا كان لكل طبقة في التاريخ ثقافتها وفنها الخاصان بها ، فان البروليتاريا تشذ عن هذه القاعدة بكونها لا تطمح الى بناء ثقافة بروليتارية وفن بروليتاري .

هذه هي الاطروحة المركزية لتروتسكي في هذا الكتاب الذي يعد من اجراء الاقتحامات الماركسية لعالم الادب والفن انطلاقا من المبدأ الذي حدده على صفحات « البرافدا » في سنة ١٩٢٣ - يوم كان قائدا للجيش الاحمر - المبدأ القائل : ليس بالسياسة وحدها يحيا الانسان .

« الادب والثورة » كان منذ صدوره قبل نصف قرن وما يزال نضا عبقريا ورؤويا .

دار الطليعة - بيروت ص ٠ ب ١١١٨١٣

هذا الموقف على افاضة القول فيه فسي كتابنا « دراسات في فقه اللغة » (٣٩) ، واتينا فيه بشواهد يستحيل نقضها او دفعها ، العجنا خلالها الى عد النحت من انواع الاشتقاق بيد اننا نود ان نعيد الضرورة فيه « بالقصوى » ، لان اساليب الاشتقاق الشائنة تفني عنه غالبا ، ولان للذوق دخلا كبيرا في النحت ، فما كل تركيب مزجي ترجم به لفظ اعجمي يثقل في السمع او يستكره ، ولا كل لفظ منحوت مختزل يخف في الاسماع ، وتكتب له السيورة في المجتمعات .

ولان نقول هذه السمكة من شائعات الزعانف (Acanthoptérgiens) خير واقرب الى الفهم من ان نقول « هي من الشوجينات » والذوق يمج وصف الحشرات بالمسجناحيات ، بينما يرضى عن وصفها بمسجنيات الاجنحة (Orthoptères) وان المعنى ليستغلق على من يسمع او يقرأ تسمية عصبية الاجنحة من الحشرات (Névoptères) بالمعصجناحيات (٤٠) . ولا ريب في ان التركيب الزجي في جميع الامثلة المتقدمة اوضح دلالة واخف وقفا من الكلمات المختزلة ، بل ربما كان اللفظ في الاسماع واقصر في الرسم حتى من بعض الكلمات الاجمعية .

سادس عشر : وكما ادخلت اللغات الحية على بعض الفاظها العلمية صدورا وكواسع (Préfixes at Suffixes) من لغات الحضارة القديمة (كال يونانية واللاتينية) يسوغ الذوق احيانا ادخال مثل تلك السوابق واللواحق على بعض الالفاظ العربية . ويبدو لنا ان اساتذة جامعة دمشق لم يرتكبوا شططا حين اضطروا الى تعريب (Carbonyle) بالفحميل ، و (Formyle) بالنميسيل ، و (Amyloide) بالنشوية ، و (Alcoyle) بالفويل ، فقد ملكوا العربية المطواع بهذه الكواسع الفاظا علمية مختزلة يرضى عنها الذوق ولا ياباها نسيج الكلمة العربية ، كما فعل هؤلاء الاساتيد بمعجم كلارفيل (Clairville) الطبي (٤١) .

ومن الصدور التي نحسب ان لا ضير في ترجمتها لتؤلف بها على طريق النحت كثيرا من مصطلحات العلوم والفنون : الصندر اليوناني (A) الذي يكتب (An) امام الاحرف الصوتية ، ويفيد بكلا رسميه معنى النفي ، فقد قرر مجمع القاهرة ترجمته بكلمة لا النافية مركبة مع الكلمة العربية المنحوتة (٤٢) . ولقد صدر المجمع في قراره هذا عن المنهج الذي اخذ به المتقدمون انفسهم في التمييز عن الشيء الذي لا يتناهى بالامتناهي ، وعن الذي لا يسوم باللدائمي ، وعن طائفة من الفلاسفة العناديين بالادريين ، فيسعنا ما وسعهم حين نقول اليوم : لا اخلاقي Amoral لا اجتماعي « Asocial » لا تناظري « Assymetrique »

(٣٩) انظر في كتابنا هذا الفصل الخامس من الباب الثالث من صفحة ٢٤٣ الى ٢٧٤ .

(٤٠) المصطلحات العلمية ص ٩٨ .

(٤١) طبع جامعة دمشق ، بالاشتراك مع الاساتذة الدكتور مرشد خاطر ، والدكتور احمد حمدي الخياط ، والدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي .

(٤٢) وكان قرار المجمع حكيما حين قيد هذا النوع من النحت بموافقته للذوق . فقد اذن باستعمال (لا) مركبة مع الاسم المفرد ، دون ان يتخذ قرارا باستعمالها دائما او عدم استعمالها دائما (مجلة المجمع ، المجلد ٦ ص ١٧٢) .